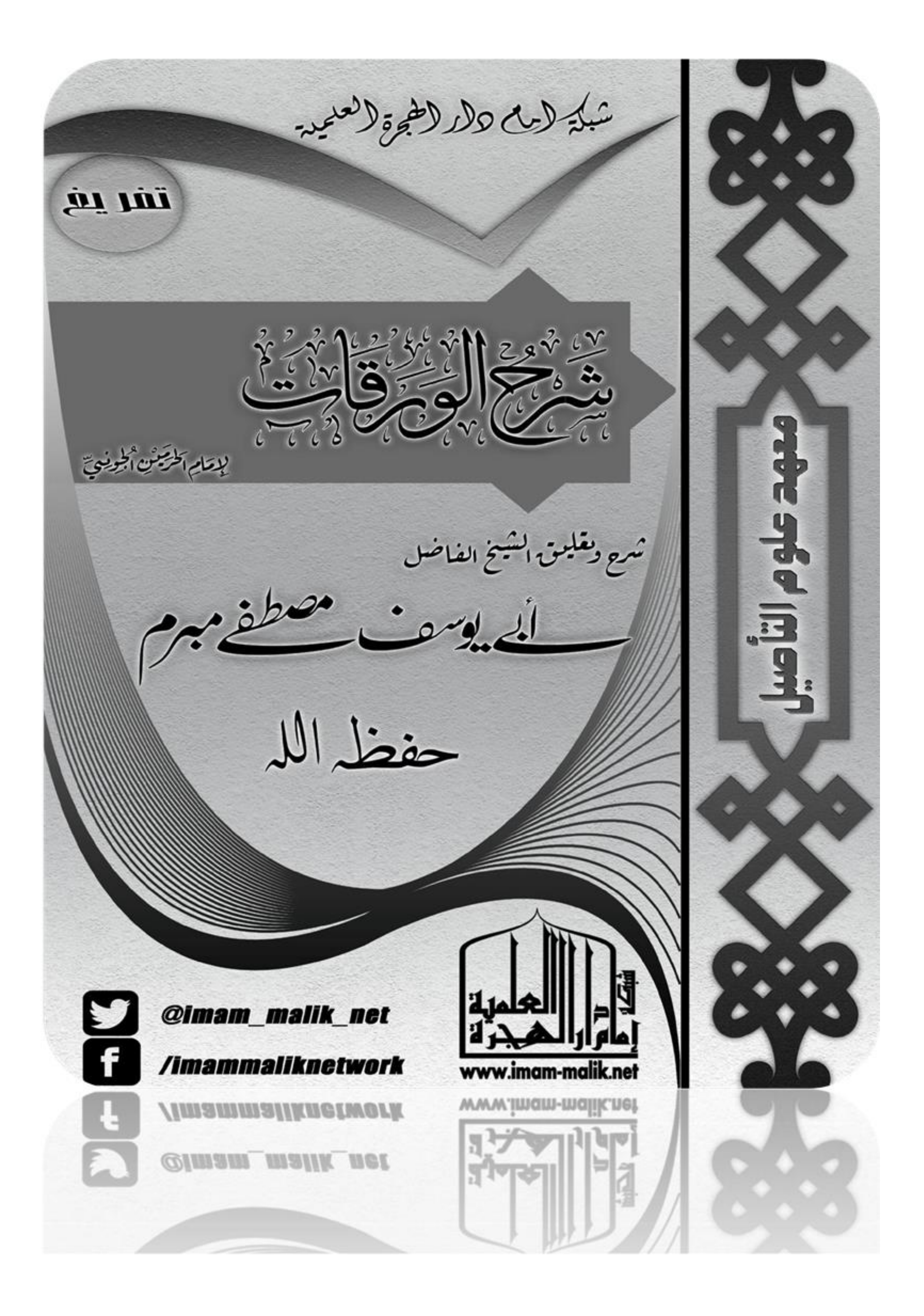

شبكة إمام دار الهجرة العلمية
تفريغ
شرح الورقات
لإمام الحرمين الجويني
شرح وتعليق الشيخ الفاضل
أبي يوسف مصطفى مبرم
حفظه الله
معهد علوم التأصيل
@imam_malik_net
/imammaliknetwork
شبكة إمام دار الهجرة العلمية
www.imam-malik.net

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فهذا هو المجلس الثاني من مجالس الكتاب السادس المقروء في معهد علوم التأصيل التابع لشبكة إمام دار الهجرة، وهو متن " **الورقات** " لإمام الحرمين الجويني – رحمه الله تعالى –وقد تقدم ذكر شيء مما يتعلق بمصنف هذا الكتاب، وشيء من أهمية علم أصول الفقه، ونكمل ما يتعلق بهذا الكتاب بعد أن نذكر بعض المهمات المتعلقة بأهمية هذا العلم، وأن أهل السنة هم الأحْظى بهذا العلم لأن إمامهم الشافعي هو الذي وضع هذا العلم، وصار بارزًا، وصارت اصطلاحاته واضحة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى –:

(فلا يتحقق حسن الاستدلال بالأدلة حتى يميز بين ما يدل وما لا يدل، ومراتب الأدلة حتى يقدم الراجح على المرجوح إذا تعارض دليلان، ولهذا كان أصول الفقه مقصوده معرفة الأدلة الشرعية جنس الدليل). هكذا يقول – رحمه الله تعالى – في الرد على البكري وقال –عليه رحمة الله–أيضًا:

(والفقه لا يكون إلا بفهم الأدلة الشرعية بأدلتها السمعية الثبوتية من الكتاب والسنة والإجماع نصًّا واستنباطاً)، وهذا كلامه في كتاب " الاستقامة "، وله كلام كثيرٌ ولغيره من أهل العلم في بيان أهمية علم أصول الفقه، وأن حقيقته ليس هو الكلام والمنطق، وإنما حقيقته التفقه في الدليل، فمن تفقه في الدليل وعرف متى يقدم الخاص على العام، وما هي قواعد النسخ، وماهي قواعد المقيد والمطلق، وكيف يجمع بين الأدلة التي يقع في ذهن المجتهد أنها متعارضة إلى غير ذلك، كل هذا هو حقيقة أصول الفقه.

– من فوائده وثمرته:

- فمن فوائده: فهم ألفاظ الكتاب والسنة وفقه آثار السلف.

- ومن فوائده أيضًا: معرفة أن هذه الشريعة لا تتناقض، وذلك أن أصول الفقه يمكِّنه من معرفة طرق الجمع والترجيح، وما يقدَّم وما يؤخر من الأدلة.

- ومن فوائده: فهم المصطلحات الواردة في هذا الفن التي امتلأت بها كتب أهل العلم.

- ومن فوائده أيضًا: أنه يؤهِّل لاستخراج الأحكام من النصوص، وهو قواعد الألفاظ.

- ومن فوائده أيضًا: أنه يساعد المجتهد على تخريج الفروع على الأصول، وكذلك نزال المسائل النازلة بنظائرها وما تلتحق به، وكذلك يُعرِّفه بمعرفة منازل العلماء من أهل الاجتهاد والتقليد، فهناك فرق بين الفقيه وناقل الفقه، وبين المفتي وناقل الفتوى.

- ومنها أيضًا: أن معرفة أصول الفقه يجمع لطالب العلم مسائل كثيرة من الفقه، فإذا سمعها يتصورها ويُنزل أحكامها إذا سمع دليلها، وله فوائد كثيرة.

- كما أن من فوائده: الرد على المخالفين لأهل السنة والجماعة فيما ذهبوا إليه من الباطل.

هذا المتن الذي نحن ندرسه نسأل الله تعالى أن ييسر لنا فهمه ودراسته وحفظه–هو متن "**الورقات**"، وهذا المتن شهرته كبيرة جدًا اعتنى به العلماء – رحمهم الله تعالى – وإنما سأذكر شروحه، وأما ما يتعلق بالكلام على المتن فسيأتي الكلام عليه؛ لأن المصنف – رحمه الله تعالى – سيذكر اسم كتابه وسيُعرِّف أصول الفقه، سيُعرِّف الأصل والفقه، ولهذا لن نذكر في هذه المقدمة هذه المباحث التي سيتولّى هو ذكرها.

شروح المتن:

فمن أقدم شروحه: شرح ابن الفِركاح الشافعي المتوفى سنة تسعين وست مائة، وقد سمّي هذا الشرح باسم " الدركات في شرح الورقات " وقيل بأنه أول شرح وُضع على هذا المتن.

ونُسب هذا الشرح غلطًا للحافظ أبي عمرو بن الصلاح، وابن الفركاح هذا شيخ النووي، وقد كان من المتصوّفة أصحاب السماع.

ومن شروحه:

- شرح مسعود بن عمر التفتزاني سعد الدين، المتوفى سنة إحدى وسبعين وتسعمائة، وسمّي " بإرشاد الفحول ".

- ومن أشهر شروحه: شرح جلال الدين المحلّي الشافعي، المتوفى سنة أربع وستين وثمانمائة.

- ومن شروحه أيضًا: شرح ابن الماريديني شمس الدين محمد بن عثمان بن علي الماريديني الشافعي، المتوفى سنة إحدى وسبعين وثمانمائة، وهذا الكتاب تناولته أيدي المذاهب بالشرح إلا أن الحنابلة ليس لهم شرح متقدم عليه، وأكثر شروحه للشافعية ثم للمالكية ثم للحنفية، وأما بالنسبة للحنابلة فكما قلتُ تأخر شرحهم لهذا الكتاب.

- ومن شروح الحنفيّة لهذا الكتاب: شرح ابن قطلوبغة المتوفّى سنة تسع وسبعين وثمانمائة.

وهذا الكتاب -أعني "الورقات"-عليه نظم كثير لأهل العلم وشرح لهذا النظم؛ والمالكية الذين اعتنوا بشرحه ونظمه كُثر، ومن أشهر شروح المالكية: شرح ابن الحطّاب الرُّعَيْني المالكي، فإنّ شرحه هذا من أشهر شروحهم المتداوَلة.

كتاب متن "الورقات" مصنِّفه رأس من رؤوس الأشاعرة، الذين جذبوا مذهب الأشعري إلى حظيرة المعتزلة، فأخذ من كتب المعتزلة شيئًا كثيرًا كما ذكرت في الدرس الماضي، ولهذا وقع له في كتبه خلط بين مذهب الأشاعرة ومذهب المعتزلة.

وهذا المتن الذي نحن بصدد درسه، ينبغي أن نتعرّف عليه من جهة الإجمال؛ لأنّ هذا أيضًا واقع في جميع كتب أصول الفقه، وهذا واقع أيضًا في كثير من كتب أهل العلم، وهو أنّها تداخلت بينها العلوم؛

وهذا ليس عيبًا كما يظنّه بعض الباحثين، فإنّهم إذا أتوا على مسائل النّحو المبثوثة في كتب الأصوليين قالوا هذا ينبغي أن تُجَرَّد منه أصول الفقه.

وإذا جاؤوا إلى مسائل المصطلح، قالوا ينبغي أن يُجَرَّد منه كتب أصول الفقه.

وإذا جاؤوا إلى المباحث اللّغوية، قالوا ينبغي أن تُجَرَّد منه أصول الفقه.

وإذا جاؤوا إلى المباحث الكلاميّة والعقديّة، قالوا ينبغي أن يُجَرَّد منه أصول الفقه.

وكلّ هذا إلاّ الأخير ليس صوابًا، فإنّهم إذا فعلوا ذلك فقد أخلوا كتب أصول الفقه من أصول الفقه؛ ولكن ينبغي أن يُقال بأنّه يُرجع إلى أهل كلّ فنّ في فنّهم، فهناك مباحث في كتب أصول الفقه ومنها هذه "الورقات"، كما سيأتي معكم في الكلام على تقسيم الخبر من جهة وصوله إلينا، وفيه مباحث فيما يتعلّق بالنّحو، والكلمة، وما يتركّب منه الكلام وما شابه ذلك.

ينبغي أن يُقال بأنّه في المسائل الدقيقة يُرجع إلى أهل هذا الفنّ، وإلاّ فإنّ المتكلّمين من الأصوليين قد نعووا على أنفسهم -فضلًا عن غيرهم-ما خالطوا به كتب أصول الفقه من علم الكلام: كأبي حامد الغزّالي في كتابه "المستصفى"، ونعى على نفسه بأنّ الفطام عن المألوف عسير.

وكذلك أبو الحسين البصري في كتاب "المعتَمَد" فإن ظاهر كلامه التوجّع من دخول هذا العلم وهذا الكلام في أصول الفقه.

وأمّا ابن قدامة المقدسي -رحمه الله تعالى-صاحب "الرّوضة"، فقد كتب مقدّمة لكتاب "الرّوضة"، هي مقدّمة منطقيّة؛ إلّا أنّه لما عوتب فيها وردّ عليه بعض معاصريه حذف هذه المقدّمة من بعض نسخ هذا الكتاب -أعني "الرّوضة"-ولذلك لا توجد في كثير من نسخ هذا الكتاب.

وقد ذكر العلاّمة الطّوفي- رحمه الله -هذا المعنى في مختصره لكتابه "الرّوضة" الذي سمّاه بـ"البلبل" حتّى قال: (فتركي لاختصارها في جملة الكتاب كان لأمور أحدها ما صحّ عنه من رجوعه)،

فهذه المقدّمة المنطقيّة حذفها ابن قدامة –رحمه الله تعالى–ولذلك لا توجد في كثير من نسخ الرّوضة.

لا نريد أن نطيل في هذا المعنى، ولكن لا بدّ من إلماحة ولو سريعة فيما يتعلّق بالمسائل التي هي كلاميّة صرفة في متن "الورقات" أو هي راجعة إلى المسائل المنطقية والكلاميّة.

وقبل هذا أيضًا ينبغي أن يُعلم أنّ منشأ الغلط في علم أصول الفقه، وفيما شاركه من العلوم الّتي تجاذبتها مدارس المتكلّمين من الأشاعرة والمعتزلة والماتريديّة، هذا السبب ومنشأ الغلط فيه، أصله الأكبر هو تقديم العقل على النقل؛ فإنّهم لما قدّموا العقل على النقل، استسلموا لكلّ ما دلّت عليه عقولهم المتفرّقة والمتفاوتة، وردّوا كلّ ما عارضها وإن كان متواترًا، فإنّهم يقبلونه من جهة اللّفظ ويأوّلونه حتّى يوافق عقولهم، وليت شعري، هل اتّفقوا على عقل نزل الوحي بتزكيته يُرجع إليه،

وهم أنفسهم، أرباب المنطق والكلام، لم يتّفقوا على عقل واحد راجح؛ بل الواحد منهم له من التناقض والتردّد في الأقوال والمسائل ما نعى به على نفسه ما تخوّضه في هذا العلم، كالجويني وكالرازي وكأبي الحسين البصري وكثير من هؤلاء الّذين صنّفوا على طريقة المتكلّمين ودخلوا في علم الكلام؛ فإنّهم لما قدّموا العقل على النقل، جاؤوا بمسألة التحسين والتقبيح، وجاؤوا بمسألة شُكر المنعم، وبعض الأصوليين يرون أنّهما واحدة، يعني شكر المنعم والتحسين والتقبيح يجعلونها واحدة كابن برهان.

ثمّ جاؤوا بمسألة القطعيّ والظنّيّ وما هو التحديد الصحيح للقطعيّ، فمنهم من يصرّح بأن القطعيّ هو العقل والظنّيّ هو النقل، ثمّ يجعل هذا الظنّيّ على مراتب، وكلامهم في هذا من أفسد الفاسد الّذي كما كرّرت كثيرًا، نعوه هم على أنفسهم.

من المسائل المتعلّقة بالورقات الّتي ربّما تكون منطقيّة أو كلاميّة، أو راجعة إلى شيء من علم الكلام، ولكن نسيت إلماحة يسيرة تتعلّق باعتناء المنطقيّين بمسائل التعريف، فإنّهم لا يتصوّرون شيئًا إلّا إذا كان معرّفًا، وجعلوا التصوّر للأشياء لا يكون إلّا بالتعريف؛ وجزى الله شيخ الإسلام أبا العبّاس بن تيميّة ـ رحمه الله تعالى ـ خير الجزاء على ما بيّنه من فساد هذا القول في كتبه، والّتي من أشهرها وأكثرها "الردّ

على المنطقيّين"، وكذلك "الانتصار لأهل الحديث"، فإنّه قد أفاد وأجاد في ردّ مشكلاتهم الّتي تعلّقوا بها في هذا المضمون.

وإذا نظرت في كتاب "الردّ على المنطقيّين"، رأيت أنّه نقض قولهم بأنّ التصوّرات والتصديقات لا تُنال إلّا بالحدود، وكذلك نقض قولهم بأنّ الحدّ يفيد العلم بالتصوّرات وما شابه ذلك، فعنايتهم بالتعاريف كثيرة جدًا.

وأرجع إلى القول–وهو ما سأنبّه عليه إن شاء الله تعالى في غضون الشرح، فلعلّنا نلج قليلًا في المتن– ألا وهو المسائل الّتي لها صلة بعلم الكلام ووقعت في كتاب "الورقات"، كما وقعت في غيره من كتب الأصول، فإنّ "الورقات" جزء من كتب أصول الفقه، ولا شكّ لأنّه سيوجد فيها من هذه المسائل وإن كانت ممّا يُنقش بالمناقيش، كما قيل. فمن تلك المسائل:

–المقدّمة المنطقية الّتي تكلّم فيها الجويني ـ رحمه الله تعالى ـ على مسائل الإدراك، فإنّ هذه المسائل إذا لم تُؤخذ على طريقة أهل السنّة والجماعة، فإنّ العقل فيها سيضلّ ويزلّ والقدم فيها ستزلّ.

وماذا نعني بها؟

العلم، والظنّ، والشكّ، والوهم وما شابه ذلك. فإذا لم تؤخذ على طريقة أهل السنّة والجماعة، وما الّذي يُرجع فيه إلى أقوالهم، فلا شكّ أنّه سيقع فيها الغلط.

–ومن المسائل العامّة الموجودة في كتاب متن "الورقات": ما يتعلّق بإفادة الخبر، فإنّه أطلق القول في حديث الآحاد، لإفادته العمل دون العلم، ولم يفصّل بين ما تلقّته الأمّة بالقبول وما لم تتلقّه الأمّة بالقبول وهذا سيأتي معنا الكلام عليه.

–ومن المسائل أيضًا الكلاميّة الّتي خدمت أهل الكلام في تأويل الصفات: مبحث الحقيقة والمجاز فإنّها – كما سيتبيّن إن شاء الله تعالى– ترتّب عليها آثار سيّئة فيما يتعلّق بالتسليم لنصوص الكتاب والسنّة.

-ومن هذه المسائل أيضًا: التفريق بين الأصول والفروع، الّذي يفضي إلى طريقة المتكلّمين من جعل الأصول ما ثبت بأدلة قطعية -وهي المتواترات عندهم- وجعل الظنيات ما ثبت بالآحاد.

-ومن هذه المسائل الكلامية أيضًا -التي تستخرج كما قلت بالمناقيش-: ما يتعلق بكلام الجويني في مسألة التقديم والتفاضل بين الأدلة.

وهذا كله -إن شاء الله تعالى- سيُتكلم عنه، لأن بعض المسائل: مثل مسألة النهي عن الشيء نهيٌ عن ضده، واقتضاء النهي الفساد، وما شابه ذلك، كثيرٌ من المدارس الكلامية قد تجاذبتها وهي موجودة أيضًا في متن "الورقات".

-ومن ذلك ما يتعلق بكلام الجويني في باب القياس، من أن العلة هي الجالبة للحكم، وكذلك مبحث ورود أو الأشياء قبل ورود الشرع، وما يتعلق بها من مسألة الرجوع إلى التحسين والتقبيح العقليين.

-وكذلك ما يتعلق بمبحث الاجتهاد في الأصول، وكلام أبي محمد الجويني فيها.

قد كنت هممت أن أذكر لكم أيضًا أهم المسائل الأصولية أو الكلامية والمنطقية الموجودة في كتب أصول الفقه عمومًا؛ إلا أنها طويلة جدًا، وفيها إشكالات كثيرة، والكلام عنها لا ينتهي كما هو معلوم، فإذا تقرر هذا، فإن هذه المسائل التي ذكرتها لم تمنع أهل العلم من الوقوف عند هذا الكتاب، وشرحه وبيان ما وقع فيه، فهم بين شارحٍ لنظمه أو شارحٍ لأصله، وهذا قد أجبنا عنه في الدرس الماضي.

النسخة التي سنعتمد شرحها، هي التي -كما ذكرت قبل- قرأتها على شيخنا العلامة ابن عقيل، وهي المدمجة مع شرح الماريديني الذي ذكرته قبل، وهو مطبوع، قد أرسلت لكم النسخة -كما أستحسنه المراقب العام على المعهد من أن تبقى الطريقة مطردة في هذا المعهد على هذه- ونبهت بأن الزائد على ما في هذه النسخة، سنأخذ به وسنعتبره لأنه مهم جدًا، وذلك أن متن الورقات لا توجد له نسخة معاصرة للمؤلف، فضلًا عن أن تكون مقروءة على المؤلف، وأقدم شرح هو شرح ابن الفِركاح الشافعي، والذي نُسب إلى ابن الصلاح وبينه وبين الجويني أيضًا مفاوز.

فالذي اخترته أنه سنأخذ بالزائد فيما يتعلق بالورقات، الزائد المهم، وإلا فإن الزوائد كثيرة كما سيظهر لكم من النسخة التي حُققت وقوبلت نُسخها.

قال رحمه الله تعالى:

بِسْمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحْيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

وَبَعْدُ، هَذِهِ وَرَقَاتُ قَلِيلَةٌ تَشْتَمِلُ عَلَى مَعْرِفَةِ فُصُولٍ مِنْ أُصُولِ الْفِقْهِ،

قوله –رحمه الله تعالى-: "بِسْمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ":

قد تقدم الكلام معنا على أن هذه الجملة مشتملة على استعانة وتبرك، والكلام عليها طويل، وقد تقدم شيء منه في بعض الدروس السالفة.

وقوله –رحمه الله-: "الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ"،

الحمد: ذكر صفات المحمود مع محبته وتعظيمه؛ لأن الذكر ثناء، فإذا ثُنِيَ وكُررَ صار حمدًا، فإذا زِيدَ فيه صار تمجيدًا، على ما قرره الحافظ ابن القيم –رحمه الله تعالى–في "الوابل الصيِّب"، وقد ذكرت هذا سلفًا في دروس ماضية.

ولما ذكر البسملة وهي: الابتداء الحقيقي، ذكر الحمدلة وهي: الابتداء الإضافي.

ذكر بعد ذلك الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأن هذا من رفع الله -تبارك وتعالى–لذكره، فلا يُذكر إلا ذُكر صلوات الله وسلامه عليه معه.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ:

والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم على ما اختاره أبو العالية الرياحي، وما قاله أبو العالية الرياحي، واختاره طوائف من أهل العلم بعده، هي ثناء الله تعالى عليه في الملأ الأعلى، وهذا علقه البخاري ووصله القاضي ابن إسحاق في كتاب "فضل الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم".

ثم قال–رحمه الله–:

"وَآلِهِ": وهم اتباعه على دينه على المرجح، "وَصَحْبِهِ": اسم جمع الصاحب: وهو من لقِيَ رسول الله " صلى الله عليه وسلم مؤمنًا به ومات على ذلك؛ "أجمعين" هذا توكيد.

ثم قال: "وَبَعْدُ" ووقع في بعض النسخ "أَمَّا بَعْدُ" وهي الأولى والأوفق للدليل.

ثم قال–رحمه الله–:

"فهذه" و"هذا" إشارة، إما أن يكون لمستحضرٍ في الذهن لشدة استحضاره له على ما هو الأولى، وإما أن يكون قد كتب هذه المقدمة بعد فراغه من وضع الكلام ورصه.

وقوله هنا–رحمه الله–: "ورقات" بعض الطابعين لهذا الكتاب جعل هذا هو الاسم لهذا المتن، ومنهم من زاد في العنوان فقال: "ورقات في أصول الفقه".

هذه ورقات "والورقات": جمع مؤنث سالم، وهو من جموع القلة على ما قرره سيبويه ونظمه ابن مالك، وهو متقررٌ في كتب النحو، والأصوليون يذكرونه في باب العموم، وهل هذا اللفظ يدخل في المعرف بـ "ال" أو لا يدخل؟ يذكرون هذا في شرحهم لأصول الفقه عند ما يتعلق بمسألة العموم.

وهذا الجمع له أربعة أوزان: أفعل كأفلس، وأفعال وأفعلة كأرغفة، وفِعلة كصبية؛ وإنما قللها المصنف–رحمه الله تعالى–لأحد أمرين أو لهما معًا:

فالأول منهما: أن يكون أنشط لذهن الطالب؛ فإن من عرف بأنها ورقات وأنها يسيرة، نشط لحفظها وفهمها واستيعابها ودرسها، وهذا الأسلوب شائع في كلام العرب، وهو مذكور أيضًا في القرآن؛ فإن الله

جعل شهر رمضان أيامًا معدودات، فقال-جل وعلا-﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾[1]، لما ذكر صيام رمضان، كذلك جعل الحج﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ﴾[2]، فهذا مما يعين على تحصيل المطلوب.

والسبب الثاني: أنه يريد أن يبين قِلَتها بالنسبة إليه، وأنه ليس متعاليًا ولا متفاخرًا بها؛ والأول أقرب، وليس معنى أننا نقول أن الأول أقرب بأنه كان متفاخرًا بها، لا، وإنما هذا قد يكون مستحضرًا في ذهنه وقد لا يكون، كما أن الأول أيضًا قد لا يكون؛ لكن هو مقصوده في هذا المتن أنه لا يريد نفسه، وإنما يريد الطالب كي يستفيد من هذه "الورقات" وينشط في تحصيلها ودرسها.

قال-رحمه الله-: "تَشْتَمِلُ" من الاشتمال، وهو نوع من العموم أي أنها تَعُم.

قال: " تَشْتَمِلُ عَلَى أُصُولِ الْفِقْه"، وفي نسخة "عَلَى مَعْرِفَةِ فُصُولٍ مِن أُصُولِ الْفِقْه" وهذه هي النسخة الأشهر، واستخدم التبعيض في هذا الموضع، فهي مشتملة على طائفة من أصول الفقه.

ولعله وقع عندكم سطر زائد فلتحذفوه.

وَهُوَ لَفْظٌ" هنا شرع المصنف-رحمه الله تعالى-في تعريف هذا التركيب الإضافي الذي رسمه بقوله "أُصُولِ الْفِقه"، وهو الذي جرى عليه المصنفون وخصوصًا المتأخرون في أصول الفقه؛ وإلا فإن الشافعي-رحمه الله تعالى- سمى كتابه "الرسالة" والخطيب البغدادي سمى كتابه بـ "الفقيه والمتفقه" وذكر فيه جُملًا من أصول الفقه؛ ولكن هذا الاسم صار شائعًا وصار اصطلاحًا لأهل هذا الفن.

وَهُوَ" أي هذا التركيب "أُصُولِ الْفِقه" تركيب إضافي."

---

(1)سورة البقرة: الآية١٨٤
(2)سورة البقرة: الآية ٢٠٣

قال: "وَهُوَ لَفْظٌ مُؤَلَّفٌ" والتأليف أو التوْليف تجميع، أي مجموع من جزئين مفردين أحدِهما الأصول والآخر الفقه، وهذا التركيب، وهذا المجموع، وهذان الجزءان وهذان المفردان يسميان بالتركيب الإضافي؛

وكل تركيب إضافي لابد وأن تكون فيه نسبة بين المضاف والمضاف إليه، وهذه النسبة لا تتميز إلا بعد أن يُتَعرف على أحد الجزئين منفردٍ عن الآخر، كما تقول: مصطلح الحديث، وأصول التفسير، وأصول الفقه وهكذا.

والمصنف –رحمه الله تعالى–، على صغر حجم هذه الرسالة، عرَّف لنا هذه المصطلحات؛ والأصوليون يذكرون هذه الأمور فيما يسمى عندهم بباب المصطلحات.

فقال –رحمه الله تعالى–بعد ذلك: "الْأَصْلُ..."

الظاهر أننا سنقف على هذا حتى يتسنى لنا إعطاءه حقه، وفي نفس الوقت يكون متصلًا بعضه ببعض. فنُعرف الأصول والفقه في الدارس القادم.

والحمد لله، نعتبر قد أخذنا خيرًا كثيرًا؛ لأننا بعد ذلك سنمشي إن شاء الله تعالى فيما يتعلق بهذه القواعد بذكر القاعدة والتمثيل عليها، وإن شاء الله ونسأل الله العون للجميع، سنحاول أن نعتني بذكر الأدلة والأمثال، ولا يرهبنا أننا لا نحسن علم المنطق والكلام، مع أننا ولله الحمد قد درسنها بسبب النظام عندنا منذ نعومة الأظفار، كما يُقال، وما رأينا فيه خيرًا.

ومن باب الطرافة في هاتين الدقيقتين المتبقيتين، أننا عندما كنا ندرس علم المنطق والفلسفة الكبير في دراسة الثانوية، كان المدرس الذي يُلقننا هذا العلم يقرر هذه المسائل في أصل العالم، وأصل الخلق والذرة وما أشبه ذلك. فكنت أناقشه في بعض تلك القضايا، فقال لي –رحمه الله–وقد مات فيما نحسبه ميتة حسنة، وكان يصلي وترك هذا المذهب الذي كان يلَقِّنه،

فالشاهد أنه قال لي، بهذا اللفظ الذي لا يزال يصخ في أذني: "يا ولدي من الصعب أن أقنعك بشيء أنا لست مقتنعا به"، فتركته بعد ذلك وكنت لا أناقشه في الفصل.

الشاهد من هذا أن الطريقة التي سنسلكها هي: أننا سنشرح القاعدة ونذكر أمثلتها فيما يتعلق بنصوص الكتاب والسنة وفتاوى الصحابة ما استطعنا إلى ذلك سبيلًا. نسأل الله العون والسداد للجميع.

المورد العزب الزلال

قال –رحمه الله تعالى–:

وعن الحسن قال:(خرج علينا عثمان رضي الله عنه يومًايخطب فقطعوا عليه كلامه فترامُوا بالبَطْحاء حتى جَعلت ما أُبصر أديم السماء، قال: وسمعنا صوتًا من بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، فقيل: هذا صوت أمهات المؤمنين، قال: فسمعتها وهي تقول: قد برئ رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن فرَّق دينه واحتزب وتَلَت:[إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ])(3).

قال القاضي إسماعيل:(أحسَبه يعني بقوله أم المؤمنين أم سلمة وأن ذلك قد ذكر في بعض الحديث وقد كانت عائشة حاجة في ذلك الوقت).

قال القاضي–رحمه الله تعالى–: (ظاهر القرآن يدل على أن كل من ابتدع في الدين بدعة من الخوارج وغيرهم فهو داخل في هذه الآية لأنهم إذا ابتدعوا تجابَوا وتخاصموا وتفرقوا وكانوا شيعًا.

وخرَّج ابن وهب عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: (عليكم بالعلم فإن أحدكم لايدري متى يُفتقر

(3) سورةالأنعام: الآية

إلى ما عنده وستجدون أقواماً يزعمون أنهم يدعون إلى كتاب الله وقد نبذوه وراء ظهورهم، فعليكم بالعلم وإياكم والبدع والتنطع والتعمق وعليكم بالعتيق).

والمراد بالعتيق[4]: العلم الأول الذي جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه

وعنه أيضًا: (القصد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة).

وعن حذيفة رضي الله عنه أنه قال: (يا معشر القراء استقيموا لإن استقمتم فقد سبقتم سبقًا بعيدًا ولئن أخذتم يميناً وشمالاً فقد ضللتم ضلالاً بعيدًا)[5].

وعنه أيضاً: (أخوف ما أخاف على الناس اثنتان: أن يؤثروا ما يرون على ما يعلمون، وأن يضلوا وهم لا يشعرون–قال سفيان–: صاحب البدعة)[6]

وخرّج ابن وهب عن أبي إدريس الخولاني أنّه قال:(لإن أرى في المسجد نارا لا أستطيع إطفاءها أحبّ إليّ من أن أرى فيه بدعة لا أستطيع تغييرها ".

وعن الفضيل بن عياض: (اتبع طرق الهدى ولا يضرك قلّة السالكين وإيّاك وطريق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين).

وعن أيوب السختياني (ما ازداد صاحب بدعة اجتهادا إلا ازداد من الله بعدًا).

وعن ابن المبارك قال: (اعلم أي أخي أنّ الموت كرامة لكلّ مسلم لقي الله على السنة فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، فإلى الله نشكوا وحشتنا وذهاب الإخوان وقلّة الأعوان وظهور البدع وإلي الله نشكوا عظيم ما حلّ بهذه الأمةمن ذهاب العلماء وأهل السنة وظهور البدع).

وكان إبراهيم التيمي يقول: (اللّهم اعصمني بدينك وبسنّة نبيّك من الاختلاف في الحقّ ومن اتّباع الهوى ومن سبل الضلالة ومن شبهات الأمور ومن الزيغ في الخصومات).

---

(4) الاعتصام. (79/1) دار المعرفة. كما في النسخة
(5) صحيح البخاري (7282)
(6) ابن وضاح في البدع (ص.81) وأبو نعيم في الحلية (278/1)

ومن كلام عمر بن عبد العزيز الذي عني به وبحفظه العلماء وكان يعجب مالكًا جدًا قوله:

(سنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم وولاة الأمر من بعده سننًا الأخذ بها تصديق لكتاب الله واستكمال لطاعة الله وقوة على دين الله ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ولا النّظر في شيء خالفها، من عمل بها مهتد ومن انتصر بها منصور، ومن خالفها اتّبع غير سبيل المؤمنين وولّاه الله ما تولى وأصله جهنم وبئس المصير).

وخرّج بن وهب عن ابن عباس–رضي الله عنهما–أنّه قال: (من رأى رأيًا ليس في كتاب الله ولم تمض به سنّة من رسول الله صلى الله عليه وسلّم، لم يدر ما هو عليه إذا لقي الله عزّ وجلّ).

وعن أبي العالية –رحمه الله–قال:

(تعلّموا الإسلام فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه وعليكم بالصّراط المستقيم فإنّه الإسلام، ولا تنحرفوا يمينًا ولا شمالًا، وعليكم بسنّة نبيّكم صلى الله عليه وسلم وما كان عليه أصحابه، وإيّاكم وهذه الأهواء التي تلقي بين النّاس العداوة والبغضاء)، فحُدّث الحسن بذلك فقال –رحمه الله–:

(صدق ونصح) خرّجه ابن وضاح وغيره. وكان مالك كثيرًا ما ينشد:

(وخير أمور الدّين ما كان سنّة وشرّ الأمور المحدثات البدائع).

إلى هنا والله أعلم وصلى الله على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الأسئلة

حاولوا في الأسئلة أن تسألوا عما ينفعكم، ولا تتخوضوا في المواضع التي لم نصل إليها أو ليس فيها كبير فائدة.

السؤال١: لماذا كان لعلم أصول الفقه خاصة، النصيب الأكبر من الاختلاط بعلم الكلام؟

الجواب: جواب هذا أنّ علم أصول الفقه يعتبر حكمًا على فهم الأدّلة، وما يقدم منها وما يؤخر، وكيف يكون الأمر عند ظهور التعارض، فهؤلاء المتكلمون أرادوا أن يجروا الأدّلة إلى مدارسهم وإلى طرقهم، فوضعوا أصولًا وقواعد تحكّموا فيها بهذا الفنّ، فصارت هي القواعد التي يتحاكمون إليها.

فإذا قيل مثلًا: إنّ هذا خلاف الظّاهر أو خلاف الدليل، قالوا هذا لا يعرف ما الظاهر ولا المؤوّل ولا ما يجوز ولا ما يتمنع.

فهذا التحكم جاءوا به من جراء هذا الخلط لعلم الكلام بعلم أصول الفقه، ولهذا إذا قرأت رسالة الشّافعي لا تجد شيئاً منها، وإنّما اعتنى ببيان الأدلة وما يتعلق بدلالات الألفاظ: ما يدلّ عليه اللفظ العام والخاص والنسخ والمطلق والمقيّد؛ وما أشبه ذلك، وذكر فيه أصول الحديث وأصول الفقه، فرحمه الله رحمة واسعة، وما اختاره عبد الرّحمان بن المهدي إلاّ لكمال آلات الاجتهاد فيه، عليه رحمة الله ومغفرته. فهذا هو السبب لأنّ هذه الأصول هي الطريق الموصل إلى فهم هذه الأدلّة، فأرادوا أن تفهم الأدلّة على طريقتهم، فجاءوا بهذه المسائل وأقحموها في كتب أصول الفقه، كما نبهت على بعضها وسيأتي التّنبيه على ذلك.

وأيضًا كما قلت قبل قليل، احرصوا على الأسئلة التي تكون في غضون الدرس ولا تدخلوا في الأبواب التي لم نصل إليها من أجل أن تحصل الاستفادة، لأنّ الظن بكم، والمدرس دائمًا ينبغي أن يراعي أمرين فيما يجيب به على الأسئلة إذا كان الحضور أخلاطًا، أما اذا كانوا متمحضين طلاب علم، فإنّه لا يجيب إلاّ على مقتضى التّرتيب، لأنّ من يدرس النّاس ويجيبهم ويفتيهم لا ينبغي له أن يؤخر بعض المسائل بحجة أنه لم يرد وقتها، لأنّ بعضهم ربّما يكون حاضرًا ويريد أن يحضر الدرس ثمّ يأخذ هذه المسألة وينصرف، وأمّا ما يتعلّق بأصل الدّرس والكتاب فإنّه ينبغي عليكم أن ترتّبوا المسائل على حسب الدرس.

فهذا السائل يسأل عن الفرق بين الحقيقة والمجاز بضرب مثال، ونحن لم نصل إلى ما يتعلق بتقسيم الكلام إلى الحقيقة والمجاز، فمن أجل أن تفهمه فأخر هذا الذي يأتي عليك.

السؤال٢: ما الشروح المعاصرة التي تنصحوننا بها.

الجواب: أنصحك بشرح نظم "الورقات" للشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين –عليه رحمة الله–، ولا أنصحك بشرح آخر، إلا إذا فهمت عقيدة أهل السنّة والسلف، فإني رأيت بعض الذين يزعمون أنّهم ينتسبون إلى السنّة أو إلى منهج السلف، لم يفهموا بعض مرادات الجويني في هذا المتن فإمّا –وهذا ما رأيته في بعض الشروح– فإمّا أن يحكوا الخلاف فيجعلون هذه المسألة خلافية، نعم نقول هي خلافيّة بين المتأخرين من المنتسبين لأهل الكلام وبين السلف، فيعمدون إلى الكتب المصنّفة في أصول الفقه وشروحه، وماذا يفعلون؟ يثبتون الخلاف بين أهل الكلام أنفسهم.

وليس كلّ خلاف جاء معتبرًا إلاّ خلافا له حظّ من النظر

فينبغي أن يتنبه لهذا فإن أخذت "شرح النظم" فإنّ النظم للعمريطي قد ذكر فيه ما بالمتن.

والعلاّمة ابن عثيمين عليه رحمة الله، أصوليّ فقيه سلفي كما هو معلوم، إنّما نذكر هذا من باب البيان لا من باب التزكيّة.

السؤال٣: أحسن الله إليكم–وإليكم–ما حال –ما فهمت هذه الكلمة...

الجواب: وبالنسبة إلى كتاب تسهيل المنطق للشيخ عبد الحليم مراد، إذا احتاج طالب العلم إلى أن يتعرف على هذه المصطلحات لا بأس، هو كتاب جيّد في هذا.

السؤال٤: حبّذا لو توضّحون لنا قول البسملة ابتداء حقيقيّ والحمدلة ابتداء إضافي وقال نسبي.

الجواب: هذا الذي يذكره العلماء عند ذكرهم للحمدلة والبسملة؛ لأنّ الابتداء في الأصل والصحّة واقع بالبسملة التي هي استعانة طلب العون والبركة، وأمّا الحمدلة فإنّها تقع إضافة إلى هذه البسملة.

السؤال٥: هل عاد الإمام الجويني في آخر عمره إلى مذهب أهل السنّة والجماعة أم كان على مذهب التفويض.

الجواب: الذين يستدلّون على رجوعه يستدلّون بكتاب "النظاميّة"، و "النظاميّة" بناه على مذهب التفويض، فإن كان دليل من قال بتراجعه هو النظاميّة، فإنّه إنّما رجع عن التأويل إلى التفويض للمعنى، كما نصّ عليه في "النظامية"، وإنّما يقصدون بتراجعه عن مذهب المتكلّمين فيما يتعلّق بتعطيل الصفات التي تجاذبه فيه مدرستان هما مدرسة المعتزلة ومدرسة الأشاعرة.

السؤال٦: سمعناكم من خلال الدروس تذكرون الغزّالي بتشديد الزاي.

الجواب: هذا هو الصحيح، وهذا هو الذي رجحه النووي وانتصر له في "تحرير التنبيه"، وفيه وجه آخر وهو التخفيف، وهنا أعتبرها فرصة وأقول لإخواني بأن يعتنوا بضبط الألفاظ وتصحيحها قدر ما يستطاع، وأن يعتنوا بالقراءة في فصيح الكلام، ففي الحقيقة إنّني أسمع بعض إخواني من طلاب العلم – وفّقهم الله– يقعون في ضروب من اللحن ليست جيّدة، والناس يتلقون عنهم ويلفظون بما يلفظون، فينبغي مراعاة هذا والكتب ولله الحمد المصنّفة في هذه الأبواب كثيرة جدًا؛ ناهيك عن اللحن الصرفي والنحوي، وكلنا هذا الرجل، ولكن ينبغي أن يكون هناك تقليل من هذا الأمر.

السؤال٧: وهذا يسأل عن طريقة جلوس طالب العلم أمام الحاسوب، هل يتأدب في الجلوس وكأنّه أمام الشيخ؟

الجواب: والله هذا الذي أنصحه به لأنّه يحضره فيما نحسب الملائكة، وقد سمعت شيخنا العلامة زيد بن محمد المدخلي –رحمه الله وغفر له–وسئل مرة عن نحو هذا السؤال فقال: ينبغي التأدب بهذا الأدب؛ لأنّ هذا هو مجلس علم والملائكة تحضره، وعسى الله أن يعفو عنا.

السؤال٨: هل الفائدة من دراستنا لهذا المتن هي أنه نتعامل مع الأدلة ومن ثمّ استنباط الأحكام سواء من الكتاب والسّنة.

الجواب: وما عسى أن يكون سوى هذا؟ وما الذي ذكرناه في بداية الدرس؟

السؤال٩: وقع لكم تردد في الدرس الماضي في مكان ولادة الجويني بين نيسابور وخرسان، والذي ذكره الحموي في "معجم البلدان" وأنّ نيسابور جزء من خرسان، والذي ذكره الزركلي في "الأعلام" أنّه ولد بجوين، ولا أظنّ أنّه ثمّة فرق.

الجواب: جيّد -جزاك الله خيرًا-، أفدتنا وهكذا -بارك الله فيكم-إذا ترددنا في شيء أو وهمنا في شيء، فنحن منتظرون منكم -جزاكم الله خيرًا-الفائدة.

السؤال١٠ :ذكرتم أنّ من مشايخه عبد الرحمان بن حمدان وعبد الرحمان بن الحسن، وأنّ كلًا منهما كنيته أبو سعيد، والذي وجدته في أكثر من موضع أنّهما يكنيان أبا سعيد كما في "السير" للذهبي، الخوَافي بتخفيف الواو، كما ذكر السيوطي في "لبّ اللّباب في تحرير الأنساب".

الجواب: جيّد -جزاك الله خيرًا-ومثل هذا إن شاء الله نستفيده، فإن بعض الأمور لا ننشط لمراجعتها أو لا يسعفنا الوقت في ذلك، ومن وجد ملجأ إلى أن يفيدنا وأن يفيد إخوانه فذلك أمانة في عنقه.

وفق الله الجميع لما يحبّه ويرضاه.

وصلّى الله وسلّم على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.